



منذ مائة عام تقريباً - 1918 - كتب الفيلسوف الألماني شنبلر كتابه الأشهر (تدھور الغرب)، والذي ترجم إلى العربية بعنوان (تدھور الحضارة الغربية). في كتابه (تدھور الغرب) تنبأ شنبلر بتدھور حضارة الغرب خلال ثمانين عاماً. أي حتى مطلع القرن الحادي والعشرين. وعدا عن تركيز شنبلر على نظرية ابن خلدون في (الدور أو العمر الحضاري)، فإنه لاحظ أن (الفراغ الرسالي) في حضارة الغرب سيكون المدخل العملي لسقوط الغرب وتدھور حضارته.

هذا الفراغ الذي لاحظه الفيلسوف في بنية الحضارة الغربية منذ قرن على مستوى الفرد ومستوى المجتمع والدولة، هو الذي يؤتي ثماره اليوم في صورة اشتراك الغرب (الأوربي والأمريكي) في مشهد القتل والموت المتمادي خلال خمس سنوات في سوريا، وأبشعه الاشتراك والتماهي مع جريمة القتل بالتجويع كما وثقته وثائق - القيصر - منذ أكثر من عام في أعماق الزنازين، ثم القتل بالتجويع والحسار جهاراً نهاراً على أعين البشر أجمعين...

المعلقون والدارسون الذين وقفوا مع مطلع القرن الحادي والعشرين متذمرين شنبلر، ومدوا له ألسنتهم لخيبة نبوءته في رأيهم، شهدوا على أنفسهم بقصور الإحاطة، والعجز عن إدراك مغزى التقويم الحضاري، وكيفية قياس نشوء الأمم وتطورها وأضمحلالها.

إن غياب البعد الرسالي، و(الانشغال بالتكلارات اللغوية عديمة المعنى) كما يقول شنبلر، والجري وراء (التوافق والصغار) التي تعيق الإنسان عن التتحقق من مرتبته السامية) والتي تعطي الحياة الإنسانية معناها ومغزاها هو الذي يثمر اليوم هذه اللامبالاة المعممة المجسدة لانهيار حضارة الغرب وتدھورها.

وهذا جوهر ما قرره الفيلسوف. إننا مع كثرة ما نسمعه من تكرارات لفظية حول الحضارة والحرية وحقوق الإنسان نراقب المشهد الذي يشهد على أصحاب هذه التكرارات بما أفله العنصرية في ازدواج المعايير، أو النفاق في إظهار الطيب من القول والاشتراك في السخيمة من العمل.

إن خمس سنوات من القتل اليومي (المتمادي) في سوريا، وكلمة المتمادي إذ نكررها دلالتها الحضارية والإنسانية

والحقوقية، ومئات الألوف من الأرواح البريئة.. مع قتل وانتهاك عشرات الألوف من النساء ومثلهم من الأطفال، بأشلائهم المبعثرة وصورهم الموثقة التي لم تحرّك الضمير الإنساني ولم توقف الهاجع الحضاري لدول الغرب، لا للحكومات ولا للمجتمعات ولا للشعوب ثم مع مشهد الصور الموثقة لضحايا وشهداء التجويع من المعتقلين والمحاصررين ؛ لا يستطيع المرء إلا أن يؤكد إعلان الفيلسوف الألماني عن تدهور الغرب. وأن يقلب الإعلان الآخر لأبي النازية نيتشة عن موت (إله)
إلى إعلان عملي عن موت الإنسانية في الإنسان.

الذين انقلبوا على الله (جل الله) واعتقدوا أن الغاية هي أصل الإنسان. ووظفوا داروين في غير ما أراده الباحث العلمي، انحطوا إلى ما هو دون مجتمع الغاية في سلوكهم العملي. فالذين أسقطوا الله (جل الله) أسقطوا معه المرجعية القيمية من أصلها في حياة الناس. موقف عبر عنه العبقري الروسي دستويفسكي: (إذا لم يكن الله موجوداً فكل شيء مباح).

وهكذا فقد استباحثت حضارة وسياسة القرن الحادي والعشرين كل شيء.. حتى دماء الأطفال، وتفننت بالقتل في كل الطرق حتى القتل بالتجويع للاستماع بمشهد الإنسان يموت (عضو فعضوا) بل (عرقاً فعرقاً)

حتى صور المجموعين الموثقة لأحد عشر ألف إنسان يموتون جوعاً في زنازين بشار الأسد، حيث لا يوجد لا إرهابيون ولا متطرفون، وكذا صور المجموعين من أهل الزبداني وبقين ومضايا، وقبلهم أهل داريا والمعضمية وبلدات الغوطة، وقبلها ما جرى في القيصري أو في حي الوعر في حمص ؛ كل أولئك الحقائق والواقع والصور لم تفلح في هز مشاعر أناس يدعون أنهم متحضرون ويدعون في الوقت نفسه أنهم آباء أو يملكون قلوب الآباء، وأمهات تتملكهم مشاعر الأمومة التي طالما روت الحكايات البشرية أن الذئبة الأم في الغابة تحنو فترضع (ابن الإنسان)..

إن الغرب الذي ورث حضارة الإنسان في القرون الثلاثة الماضية، وأعطى الإنسانية شكل (الدولة الحديثة) بقيمها ومواثيقها وبصياغاتها وألياتها، وادعى لنفسه أنه السابق إلى إعلان مواطنة حقوق الإنسان، هو الذي انقلب على حضارته نفسها. وهو الذي فرغها من مضمونها، وهو الذي سجرها عملياً في أتون المصالح اللحظية الضيقة، التي تتجلى اليوم، في صمته الأسود المريض وفي حالاته العدمية العميقة. مما ما يجري على الإنسان المسلم من كل أشكال الانتهاك.

لا يحق للشياطين الخرس الذين صمتوا وسيظلون صامتين على جرائم الحرب تمارس ضد (أمة مستضعفة مغلوبة) مجردة من كل عوامل القوة، محاصرة بكل أشرار العالم، لا يحق لهؤلاء المتفرجين على مشهد صرعي الجوع في زنازين والأقبية أو في المدن والبلدات أن يتحدثوا بعد عن قيم (حضارة) وعن ثقافة (حقوق إنسان)

فهم بما يسطرون من صفحات جديدة سوداء في تاريخ العلاقات الإنسانية اليوم قد أسقطوا الحضارة وأعلنوا موت الإنسانية في الإنسان..

وإيماننا الحق بكل هذا يدفعنا إلى الإصرار على بقية الإنسانية في قومنا لا بد للمنتصررين للحق من بدائل